**التسلسل: 10ـ 26**

**اسم المادة:محاضرات في منهج البحث التاريخي**

عنوان المحاضرة: الوثائق (Documents)

الوثيقة تستخدم بمعنى المصدر، وتشير الى مضمون الوثائق المدونة والأوراق الرسمية والخاصة، وجميع وثائق التاريخ الاسلامي العائدة الى أوراق وسجلات الدولة العربية – الاسلامية والتي تختلف عن مؤسساتها الادارية والدينية كالرسائل والمكاتبات والعهود وغيرها من سجلات الحكومة، أما وثائق التاريخ الحديث فقد تكون رسمية عائدة للدولة وقد تكون اوراقاً خاصة عائدة لشخصيات ذات علاقة بالدولة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، طبقا للنظام السائد في البلد، وطبيعة مؤسساته التي تخلف ورائها مجاميع كبيرة من الوثائق ويتميز المؤرخون جميعا، كما تشهد بذلك مؤلفاتهم التاريخية على كثرة ممارستهم للوثائق، وفي احترامهم للأسلوب الوثائقي حتى حدا بكثير منهم الى اعتباره الاسلوب التاريخي الوحيد في عملية البحث التاريخي، وسوف نركز هنا على الوثائق من زاوية اهتمام المؤرخ بمحتوياتها كمصدر للبحث التاريخي والعمل الكتابي، يهتم المؤرخ بالوثائق لأنها تزوده بمعلومات لا تتوفر له عن طريق مصادره الاخرى التقليدية، بغض النظر عن حقل الاختصاص الذي تنتمي اليه، سواء كان ذلك يشمل التاريخ السياسي لدولة الخلافة أو نظمها أو في علم التاريخ، فإن المؤرخ يتحمل مسؤولية الاطلاع على محتوياتها، وتقرير مصداقيتها سوية، إذا كان مؤهلاً لذلك مهنيا، والا سيظل ما يقوم به من دراسة وأعمال تاريخية خارج نطاق العمل الاكاديمي – الجامعي وعاجزا عن استيفاء شروط البحث التاريخي الاصيل، أيا" كان نوعه والأهم انها تزوده بمعلومات متنوعة تفضي الى استنتاجات ودلالات هامة مصدرها الرسائل والتوقيعات والمناشير التي تصدر من المنافذ الرسمية المتخصصة للدولة، والحقيقة ان هذا التنوع متى ما حصل أمر يهم المؤرخ ويتطلع اليه، لان ذلك يعني توفر فرصة ثمينة للبحث والتحري والمقارنة لا تحقق في غير مثل تلك الظروف، وقد ينجح في المجيء بنظرية أو تفسير جديد يخص اختصاصه، إذا ما ظهرت قابليته وقدراته في تفسير واستخدام تلك المعلومات التي توفرت تحت تصرفه،وقد يفتح بهذه الاكتشافات الشخصية ابواب جديدة لأقرانه المؤرخين،فقبل وضع الوثيقة للاستعمال ، لابد للمؤرخ من فحص محتوياتها طالما يسود المؤرخين شعور عام بان هناك في التاريخ وثائق كثيرة مزورة روجت لأغراض مختلفة ، وان الواجب يحتم عليه التأكد من سلامتها بإخضاعها لمقاييس النقد التاريخي من أجل التحري عن اسباب تحرير الوثيقة والزمان والمكان اللذين كتبت فيها ، وبيان السببية والكيفية لذلك ، وتطبيق النتائج ما على محتوياتها تماماً من البسملة والمتن وخاتمة الوثيقة وتحليل ما بها من اعلام وحوادث وتواريخ وفي هذا المحتوى ، خطا منهج البحث التاريخي خطوات ثابتة بتحليل ما يسميه المنهجين الاوائل بالشاهد الداخلي وأيضا الشاهد الخارجي، ومقارنة معلوماتها بغيرها من المصادر المعاصرة، للتوصل للقرائن الدالة فيها،فهذه كلها من المآثر التي أخذت مكانتها بين الامور العلمية للبحث التاريخي، غير ان واقع الحال ان المختصين في الدراسات العربية والاسلامية يعانون من نقص واضح في الوثائق المتوفرة لهم حالياً خاصة ما يغطي الفترة الكلاسيكية وما يتبعها من تاريخ دولة الخلافة ، مع ان دواوين الدولة العربية والاسلامية المرتبطة بها إداريا والمسؤولة عن اصدار وحفظ هذه الوثائق كانت قد تركت لنا نتاجاً غزيراً في هذه المادة لم يصل الينا معظمه سوى ما حفظ لنا من كتب التواريخ العامة او كتب الوزراء والموسوعات والتي يعوداصحابها الى طبقة الكتاب الاداريين في الدولة من أمثال مسكويه وأبو اسحق الصابي والقلقشندي والنويري وغيرهم ، بينما تتوفر لنظائرهم من المختصين في الدراسات التاريخية الحديثة آلاف الرسائل ، والأوراق الرسمية وغير الرسمية مصنفة ومحفوظة في المكاتب العثمانية والآراشيف الأجنبية في مكتبات استانبول ولندن وباريس وغيرها من المدن والمراكز، وعندما يحسن المؤرخ استخدام الوثيقة في العمل الكتابي، ويتدرب على الوسائل المناسبة لأستخدمها، فأنه في حالة وقوعها تحت تصرفه، قد يتوصل بتوفر الطرق المناسبة الى نتائج باهرة في الموضوع الذي يشغله، تكسبه شهرة بين اقرانه المؤرخين وبدون شك، أن من اوائل شروط حسن الاستخدام هنا، فضلاً عن التحقق من أصالتها، هو أن يجيد معرفة اللغة التي وصلت بها الينا الوثيقة، فأن الوثائق المترجمة، حتى وان تم استخدامها في جوانب من البحث، ليتمكن من تجنب مسؤولية المحاسبة على إهمالها، الا ان هذه الوثائق بسبب حساسية التعابير الواردة فيها بلغة الاصل والتي يصعب عندها نقل معانيها الى اللغة المترجم لها، تفقد معظم قيمتها في التراجم المعمولة لأنها لا تعالج مشاكل استعمال هذه التعبير، والقضايا السوسيولوجية التي تتميز بها الوثائق في شكلها الأصلي، ومع ذلك توجد محاولات ناجحة للاستفادة من هذه الوثائق ، معظمها من اصدارات المستشرقين .

اسم المصدر :مرتضى حسن النقيب،المؤرخ المبتدئ ومنهج البحث التاريخي.